# سُورَةُ النَّحْلِ

**النزول:** مكية.

**المقاصد:**

١ ـ تقرير توحيد الألوهية.

٢ ـ تقرير الوحي والبعث.

٣ ـ إقامة الدلائل والبراهين على وحدانية الله تعالى.

٤ ـ بيان أهمية شكر الله تعالى.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ
أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ
مُّبِينٌ ﴿٤﴾ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا
جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ
ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا
لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾

**التفسير:**

١ ـ يُنذر الله تعالى مِنْ قرب قيام الساعة ودُنُوِّها ـ مُعَبِّراً بصيغة الماضي الدالِّ على التحقُّق والوقوع ـ فلا تطلبوا تعجيل العذاب أيها المشركون، تَنَزَّه الله وتَقَدَّس عن الشرك.

٢ ـ يُنَزِّل الله تعالى الملائكة بالوحي من أمره تعالى على مَنْ يشاء من عباده المرسلين، بأن أَنْذِرُوا الناس بسبب أنَّه لا معبود بحق إلا الله، فاتَّقوني بطاعتي لأوامري، واجتناب المعاصي.

٣ ـ خلق الله تعالى السموات السبع والأرَضين السبع بالحق الثابت، تَعاظَمَ الله، وتَمَجَّدَ عن الشريك والنظير.

٤ ـ خلق الله سبحانه الإنسان من ماء مهين ـ وهو المَنِيُّ ـ فإذا هو شديد الخصومة في إنكار البعث والحساب.

٥ ـ ٦ ـ يَمْتَنُّ الله تعالى على عباده بما خلق لهم من الإبل والبقر والغنم والضأن، وبما جعل لهم فيها من المنافع، يلبسون ويفترشون من أصوافها وأوبارها وأشعارها، ويشربون من ألبانها، ويأكلون من لحومها، ولهم فيها جَمال حين يَرِدُونها بالعَشِيِّ من مَراعيها، وحين خروجها صباحاً إلى المرعى.

٧ ـ وبعضُ هذه الأنعام تحمل أمتعتكم الثقيلة إلى بلد بعيد لم تصلوا إليه إلا بعد جهد يشقُّ على النفوس. إنَّ خالقكم ومُدَبِّر شؤونكم لَذو رأفة شديدة، وذو رحمة واسعة بكم.

٨ ـ وخلق لكم حيوانات كالخيل والبغال والحمير، أعَدَّها؛ لتركبوا عليها عند السفر والتنقُّل، ولتتزيَّنوا بها، ولاسيما ركوب الخيول الأصيلة، ويخلق لكم ما لا تعلمون من المخلوقات التي تنفعكم.

٩ ـ وعلى الله تعالى ـ بفضله ـ بيان طريق الحقِّ لكم، وهو دين الإسلام، ومن الطريق ما هو أعوج لا يُوصِل إلى طريق الحقِّ، بل إلى الضلالة والهلاك، ولو شاء الله هدايتكم لهداكم إلى الحقِّ جميعاً.

## الفوائد والاستنباطات:

١ ـ تسمية الوحي بالروح من أجل أنَّه يُحيي القلوب، كما تُحيي الأرواحُ الأجسامَ.

٢ ـ جميع الرسل أُمروا أن يُنذروا مَنْ أُرسلوا إليهم بالإقرار بتوحيد الألوهية.

٣ ـ الحكم بأنَّ الله لم يخلق الكون العلوي والسفلي عبثاً، بل لحكمة إلهية وهي عبادته وحده.

٤ ـ ينظر: صورة جمال الأنعام، كما في الملحق.

٥ ـ تأكيد عظمة الإسلام، ودعوته للرفق ليس بالإنسان فحسب، بل بالحيوان كذلك.

٦ ـ أنواع الحيوانات وأصنافها وأقسامها كثيرة خارجة عن الحدِّ والإحصاء، فكان أحسن الأحوال ذِكْرَها على سبيل الإجمال كما ذكر الله تعالى في هذه الآية. (السراج المنير للشربيني: ٢/٢١٨).

٧ ـ فَضْلُ الله مستمر لم ينقطع، فقد خَلق لنا غير الأنعام والدواب فقال: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وهذا يشمل كل وسائل النقل والركوب الحديثة.

٨ ـ الإسلام هو السبيل التي بَيَّنَها تعالى فضلاً منه ورحمة، وما عداه سبل جائرة عن العدل والحق.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾

**التفسير:**

١٠ ـ ١١ ـ الله وحده سبحانه هو الذي أنزل بقدرته العظيمة من السحاب مطراً لكم؛ لتشربوا منه، ولتسقوا النبات الذي فيه تَرْعَوْن دوابَّكم، يُخرج لكم بماء المطر أنواع الزروع، ويُخرج به الزيتون والنخيل والأعناب ومن جميع أصناف الثمار. إنَّ في ذلك النعيم الكريم لَدلائل مشاهَدة لقوم يتفكَّرون في عظمة هذه النِّعم التي تَدُلُّ على توحيد الله الخالق لها.

١٢ ـ وذلَّل لكم الليل والنهار، يتعاقبان لمنامكم ومعاشكم، وذلَّل لكم الشمس والقمر يدوران لمصالحكم، والنجوم مذلَّلات تجري في فلكها بأمره تعالى؛ لتهتدوا بها في ظلمات البرِّ والبحر. إنَّ في ذلك التسخير العظيم الشأن لَدلالاتٍ مُشاهَدة لقوم يعقلون عظمة الله وتدبيره سبحانه.

١٣ ـ وخلق لكم ما في الأرض من المخلوقات المتنوعة بأحجامها وألوانها وفوائدها، من النبات والحيوان والجماد. إنَّ في ذلك الخلق الكثير لَعِبرةً لقوم يتَّعظون بها، ويؤمنون بخالقها.

١٤ ـ والله تعالى هو الذي ذَلَّل لكم البحر بسعته وعجائبه؛ لتأكلوا وتصطادوا منه اللحوم اللينة الطيبة كالأسماك وغيرها، ولتستخرجوا منه زينة بالغَوْص للوصول إلى اللؤلؤ والمرجان، وترى السفن تَشُقُّ عُباب البحر ذهاباً وإياباً وهي تحملكم مع أمتعتكم، ولتطلبوا الرزق بالتجارة؛ لكي تشكروا ربَّكم قولاً وعملاً على هذه النِّعم التي لا تُحصى.

١٥ ـ ١٦ ـ وثَبَّتَ في الأرض جبالاً راسخة؛ لئلا تضطرب الأرض بكم، وصَبَّ فيها أنهاراً عذبة، وشَقَّ فيها طرقاً مُذَلَّلة؛ لكي تهتدوا إلى مقاصدكم وأماكنكم، وهذه الجبال والأنهار والطرق جعلها الله تعالى معالم تستدلُّون بها في وضح النهار، وجعل النجوم معالم للاهتداء بها في ظلام الليل.

١٧ ـ يُنكر الله تعالى على المشركين مُوَبِّخاً لهم: أتُسَوُّون بين الخالق لهذه الأمور العظيمة والآلهة المزعومة التي لا تخلق شيئاً؟ أفلا تتذكَّرون قدرة الله، فتؤمنون به؟

## الفوائد والاستنباطات:

١ ـ ذُكر أولاً الزرع وهو الحَبُّ الذي يُقتاتُ به كالحنطة والشعير والأرز؛ لأنَّ به قوامَ البدن، ثم ذُكر الزيتون؛ لما فيه من الأدم والدهن، وثلث بذكر النخيل؛ لأنَّ ثمرها غذاء وفاكهة، وختم بذكر الأعناب؛ لأنَّه شبيه النخيل في المنفعة من التفكه والتغذية.

٢ ـ ينظر: صورة الأعناب، كما في الملحق.

٣ ـ ينظر: صورة ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾، كما في الملحق.

٤ ـ أثبت الخبراء أنَّ طراوة لحوم البحار سواء كان ماؤها عذباً فراتاً، أو مِلْحاً أُجاجاً، نابعٌ من التركيب التشريحي والفحص الميكروسكوبي لهذه اللحوم. (مجلة الإعجاز العلمي ص١٤، العدد (٣٧)، رمضان ١٤٣١هـ).

٥ ـ ينظر: صورة نماذج من اللحم الطري، كما في الملحق.

٦ ـ ينظر: صورة نماذج من الحلية، كما في الملحق.

٧ ـ كثرة منافع البحار والأنهار وتنوعها، ممَّا يقتضي شكر المنعم بها، والمحافظة عليها والاعتناء بها.

٨ ـ فضيلة التفكر والتذكر والتعقل وذَمُّ أضدادها؛ لأنَّ الآيات الكونية كالآيات القرآنية، إذا لم يتفكر فيها العبد لا يهتدي إلى معرفة الحق المنشود، وهو معرفة الله تعالى؛ ليعبده العبد بالذِّكر والشكر وحده دون سواه.

٩ ـ وجوب الشكر لله تعالى، ووجوب التفكر في آياته.

١٠ ـ تقرر الحقيقة العلمية القاطعة أنَّ توزيع الجبال على الكرة الأرضية؛ لحفظ توازن الأرض، فكأنَّ الجبال هي أوتاد للأرض تحفظها في مكانها وتحفظ عليها حركتها. (من الآيات العلمية: عبد الرزاق نوفل، ص٥٦، ٥٧). وقال العالم الفلكي د.داود سلمان السعدي: «اكتشف العلماء في القرن العشرين أنَّ الأرض تتصدع وتتحرَّك ألواح قشرتها بشكل دائم، ولكن ببطء لا يُحَسُّ به، فالجبل الذي يخرج من باطن الأرض إلى سطحها هو بمثابة الوتد الذي يُثبِّت قشرة الأرض عن جانبيه، ولقد ثبت علمياً أنَّ الجبل يمتد أربع مرَّات ونصف تقريباً داخل طبقات الأرض السفلى، حسبما أثبتته وسائل التصوير الهولوغرافي». (أسرار الكون في القرآن، ص١٦٩). وينظر: مخطط وتد الجبل في الملحق.

١١ ـ تُغَذَّى الأنهار بماء المطر الذي يسقط فوق مرتفعات الأرض من مثل الجبال، كما تُغَذَّى من ذَوَبان الجليد من أماكن تجمُّعِه في قمم الجبال، ومن أطراف حقول الجليد. كذلك فإنَّ مجاري الأنهار تتعرض للانتقال البطيء مع الزمن أو للجفاف، ومع جفاف مجرى النهر أو تغييره يترك المجرى القديم سبيلاً ميسراً لحركة كل من الإنسان والحيوان، ومن هنا كان ربط القرآن الكريم بين ذكر الأنهار والسبل، حيث إنَّ الأنهار من أعظم وسائل شق الطرق بين الجبال والتلال والهضاب في مناطق التضاريس الأرضية الوعرة.

١٢ ـ ينظر: صورة الاهتداء بالنجم، كما في الملحق.

١٣ ـ بيان تميُّزِ الله عن كل شيء بصفة الخالقية، وأنَّه إنَّما استحق الإلهية والعبودية؛ لكونه تعالى خالقاً، وهذا يقتضي أنَّ عبادة أيِّ مخلوق باطلة. (السراج المنير للشربيني: ٢/ ٢٢٣).

﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ
أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم
مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾

## التفسير:

١٨ ـ نِعَمُ الله تعالى كثيرة، وإن حاولتم حصر عددها فلا تقدرون على إحصائها؛ لكثرتها. إنَّ الله لغفور لِـمَنْ تاب، رحيم بالعباد.

١٩ ـ والله سبحانه قد أحاط علماً بكل ما تُخفونه وما تظهرونه من الأقوال والأعمال.

٢٠ ـ ٢١ ـ والأوثان التي يعبدها المشركون لا تَقْدِرُ على خَلْق شيء، وهي مصنوعة بأيدي عابديها، وهذه الأصنام جمادات لا روح فيها، ولا تدري متى البعث.

٢٢ ـ إلهكم ـ أيها الناس ـ المستحق للعبادة إله واحد لا شريك له، فالذين يجحدون الآخرة قلوبُهم تُكَذِّب بوحدانية الله ﷻ، وهم متكبِّرون عن قبول الحق.

٢٣ ـ ٢٤ ـ لا ريب أنَّ الله تعالى يعلم ما يُخْفُون وما يُظْهرون من النيَّات والرزايا. إنَّه سبحانه لا يحب المستكبرين على الحق، الذين إذا قيل لهم: أيَّ شيء أنزل ربُّكم على رسوله ﷺ؟ أجابوا بسخرية: أُنزل عليه أباطيل الأُمم السابقة!

## الفوائد والاستنباطات:

١ ـ عَجْزُ الإنسان عن إحصاء نِعَم الله عليه، يقتضي منه شكره عليها.

٢ ـ التنديد بجريمة الاستكبار عن الحق وذمُّها؛ إذ هي سبب كثير من الذنوب والسيئات.

٣ ـ الحكم بأنَّ عبادة الأوثان والأصنام باطلة، وأنَّ الوحدانية لله.

٤ ـ تَرْكُ الإيمان باليوم الآخر والبعث والجزاء هو سبب كلِّ شرٍّ وفساد يأتيه العبد.

﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

**التفسير:**

٢٥ ـ وعاقبة هؤلاء المضلِّين أن يتحمَّلوا ذنوبهم كاملة يوم القيامة، ويضاف إليها ذنوب الذين أضلوهم بالكذب، ألا فانتبهوا أيُّها الأنام، بئس ما كانوا يحملون من ركام الآثام.

٢٦ ـ وقد سبق هؤلاء المضلِّين أشباهُهم، دبَّروا المكايد لأنبيائهم والمؤمنين من أتباعهم، فأبطل الله تعالى كيدهم بتدمير ديارهم، فدَمَّر بُنيانهم من أُسُسِه، فسقط عليهم السقف، فدَمَّرهم من حيث لم يحتسبوا. وهذا تمثيل بليغ لبيان إحباط ما أبرموه من المكر.

٢٧ ـ ثمَّ يومَ القيامة يُذِلُّهم الله تعالى بخطابه لهم لوماً وتقريعاً: أين الشركاء الذين عبدتموهم وخاصمتم من أجلهم الأنبياء والمؤمنين؟ قال العلماء من المؤمنين العاملين: إنَّ الذُّلَّ والهَوان والعذاب في هذا اليوم على المكذِّبين بالله ورسله.

٢٨ ـ ٢٩ ـ هؤلاء المكذِّبون تقبض الملائكةُ الموكلة بالموت أرواحهم الخبيثة، حال كونهم ظالمي أنفسهم بالكفر، فانقادوا، واستسلموا عند الموت، وكذَّبوا أيضاً بقولهم: ما كُنَّا نعمل شيئاً من كفر أو شرك. فيُرَدُّ

عليهم: إنَّ الله عليم بما كنتم تقترفون من الجرائم، وبسبب ذلك ستُؤْمَرُون بدخول أبواب جهنَّم السبعة ماكثين في نار جهنَّم أبداً، فلبئس مَقَرُّ المتكبِّرين عن الحق.

## الفوائد والاستنباطات:

١ ـ بيان عظيم إثم مَنْ يضل غيره عن الهدى.

٢ ـ تقرير تكذيب الرسل كان قديماً قبل رسالة محمد ﷺ.

٣ ـ يقول العلماء: تشير الآية إلى حقيقة هندسية وهي: «أنَّ الأساس هو آخر جزء إنشائي ينقل الحمل إلى التربة، وهو الذي يتحمل كل وزن المُنْشأ وينقله بسلام إلى الأرض، وأنَّ معامل الأمان الذي يأخذه المصممون في تصميم الأُسُس يكون أكثر من أي معامل أمان يؤخذ لأيِّ جزء إنشائي آخر؛ وذلك لأنَّه لا يمكن التساهل مع هذا الأمر بسبب أهميته الاستثنائية». (القواعد في القرآن: خالد العبيدي، ص٨).

٤ ـ اختصاص ماهية الخزي وماهية السوء في يوم القيامة بالكافرين، وهذا ينفي حصول هذه الماهية في حقِّ غيرهم. (السراج المنير للشربيني: ٢/ ٢٢٧).

٥ ـ توبيخ الملائكة المشركين عند قَبْضِ أرواحهم.

٦ ـ محاولة المشركين إنكار أعمالهم في الدنيا في محاولة منهم للهروب من جزائها، ولكن بلا فائدة.

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۚ وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾

**التفسير:**

**٣٠ ـ ٣١ ـ** وقيل للمتَّقين: ماذا أنزل ربُّكم على رسوله؟ قالوا: أنزل الله عليه خيراً عظيماً، وهو القرآن العظيم. للمحسنين بأقوالهم وأفعالهم حياة طيبة في الحياة الدنيا، وما ينالونه في الآخرة من نعيم الجنَّة خير ممَّا أُوتوه في الدنيا، ولَنِعْمَ دار الآخرة دارُ المتَّقين حقّاً، وهي جنات يدخلونها مُقيمين فيها أبداً، تجري من تحت أشجارها وقصورها الأنهار، لهم في هذه الجنات كلُّ ما تشتهيه الأنفس بدون تعب. مثلَ هذا الجزاء الكريم يجزي الله عباده المُتَّقين لله.

**٣٢ ـ** هؤلاء المُتَّقون تقبض الملائكةُ أرواحَهم الطاهرة، ونفوسهم طيبة بلقاء الله، وتُسَلِّم عليهم الملائكة، وتُبَشِّرهم بدخول الجنَّة جزاء صدق إيمانهم، وحسن أعمالهم.

**٣٣ ـ ٣٤ ـ** يُنكر الله تعالى على المشركين مُوَبِّخاً لهم على تماديهم في الباطل: ما ينتظر هؤلاء إلا أحد أمرين: إما نزول الملائكة بالموت، أو مجيء أَمْرِ الله بتعجيل العذاب. مثل ذلك الكفر فَعَلَ الذين من قبلهم من الأُمم، وما ظلمهم الله بتدميرهم، ولكن ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي، فأصابهم عقوبات كفرهم، وأحاط بهم العذاب الأليم الذي كانوا يستهزئون به، ويُنْكِرون وقوعه.

**٣٥ ـ** احتجَّ المشركون بالقضاء والقدر على شركهم، وزعموا أنَّ الله

تعالى لو شاء ما أشركوا ولا حرَّموا شيئاً من الأنعام التي أحلَّها. وهذه حجَّة باطلة، فإنَّها لو كانت حقَّاً ما عاقب الله تعالى الذين من قبلهم حين أشركوا به، فقد عاقبهم، فلو كان يريد ذلك منهم لَما عاقبهم، فليس الواجب على الرسل إلا تبليغ الدعوة بالبيان الحكيم.

## الفوائد والاستنباطات:

١ ـ إطلاق لفظ «خير» على القرآن، فالذي أوتي القرآن أوتي بشرى أهل الإيمان والتقوى عند الموت، وعند القيام من القبور بالنعيم المقيم في جوار ربِّ العالمين.

٢ ـ الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة، والتوفيق للعمل الصالح رحمة من الله وفضل.

٣ ـ إنكار بعثة الرسل كان قديماً في الأمم الخالية. وفي ذلك تسلية للنبيِّ ﷺ.

٤ ـ إنَّ ما يصيب الظلمة من سوء هو بسبب كفرهم واستكبارهم وتكذيبهم للحق.

٥ ـ الردُّ على شُبْهة المشركين في احتجاجهم بالمشيئة الإلهية.

٦ ـ كلُّ إنسان محاسَب على عمله الذي اختار القيام به بمحض إرادته.

٧ ـ اقتصار مهمة الأنبياء على التبليغ والإنذار، لا على الإلزام و الإجبار.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾

## التفسير:

٣٦ ـ قسماً لقد أرسلنا في كلِّ أُمَّة من الأُمم رسولاً يدعو إلى عبادة الله

وحده، ويُحَذِّر من عبادة الأوثان وما يوحيه الشيطان، فانقسم الناس قسمين: فمنهم مَنْ أرشده الله إلى الهداية فاتَّبَعُوا رسلهم، ومنهم مَن اتَّبع سبيل الغَواية، فوجبت عليه الضلالة والشقاوة، فامشُوا في الأرض متأمِّلين، وانظروا مصير المكذِّبين السابقين.

٣٧ ـ إن تَحْرِصْ ـ أيها الرسول ـ على هداية المشركين، وتبذل غاية الجهد، فاعلم أنَّ الله لا يهدي مَن اختار الضلالة، وليس لهم مَنْ يُنْقِذُهم من عذاب الله تعالى.

٣٨ ـ ٤٠ ـ وأقسم المشركون بالله مبالِغين ومؤكِّدين بأيمان مغلَّظة: إنَّ الله لا يُحيي أحداً بعد الموت. فردَّ الله عليهم تكذيباً لهم: بلى ليبعثنَّهم، وَعَدَ بذلك وعداً أكيداً، ولكنَّ أكثر الناس لا عِلْمَ لهم يُوصلهم إلى معرفة قدرة الله تعالى على البعث وغيره، سيبعثهم؛ ليكشف ضلالهم في إنكارهم البعث الذي اختلفوا فيه مع المؤمنين، ولكي يعلم الكفَّار أنَّهم كاذبون في حِلْفِهم المغلَّظ أنَّه لا بعث، إنَّما قولنا إذا أردنا شيئاً أن نقول للشيء: كن، فإذا هو كائن.

## الفوائد والاستنباطات:

١ ـ بعثة الرسل في كلِّ الأُمم عامة شاملة، وهدفها واحد وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده، وترك عبادة الطاغوت.

٢ ـ العاقل مَنْ يعتبر ويَتَّعظ بما حَلَّ بفريق الضالين المكذبين، كيف آل أَمْرُهم إلى الدمار والخراب والعذاب والهلاك؟

٣ ـ لا جدوى من حِرْصِ النبي ﷺ أو غيره على هداية أحد بجُهده وتصميمه لا يحقق الهداية، إن سَبَقَ في عِلْمِ الله ضلالُه، فإنَّه تعالى لا يُرْشِدُ مَنْ أضلَّه، بعد أن ضلَّ سواء السبيل.

٤ ـ تقرير حقيقة البعث، وأنَّه وَعْدٌ على الله حقاً، والذين ينكرونه إنما يفعلون ذلك لفرط جهلهم.

٥ ـ لله القدرة المطلقة، فإذا أراد أن يبعث من يموت فلا تعب عليه ولا نَصَبَ في إحيائهم، ولا في غير ذلك مما يحدثه في الكون؛ لأنَّه إنَّما يقول له: كن فيكون.

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

**التفسير:**

٤١ ـ ٤٢ ـ والمهاجرون الذين فارقوا الأوطان والأموال من أجل رضا الله تعالى، من بعد ما عُذِّبوا وأُوذُوا، لَنرزقَنَّهم في الدنيا رزقاً حسناً حقّاً، ولَثوابُ الآخرةِ في الجنَّة أعظم، لو كان المتخلِّفون عن الهجرة يعلمون فَضْلَ المهاجرين الذين صبروا على أذى المشركين، وعلى طاعة الله في أوامره، وعلى ربِّهم وحده يعتمدون.

٤٣ ـ وما أرسلنا من قبلك ـ أيها الرسول ـ إلا رسلاً من الرجال لا من الملائكة، نُوحي إليهم بواسطة الملائكة، وإن كنتم يا مشركي قريش لا تُصَدِّقون بذلك، فاسألوا أهل العلم بالكتب، إن كنتم لا تعلمون اتِّباع الحق.

٤٤ ـ أولئك الرسل بعثناهم بالمعجزات العجيبة، وبالكتب المنزلة من عند الله، وأنزلنا إليك ـ أيها الرسول ـ القرآن لتفصِّلَ للناس أحكامَه، وما يحتاجون إليه من بيان؛ لكي يتأمَّلوا في مواعظه.

٤٥ ـ ٤٧ ـ يُنْكِرُ الله تعالى على الكفَّار مَكْرَهم توبيخاً وتقريعاً لهم: هل أَمِنَ الذين يتآمرون لأذى الرسول ﷺ والمؤمنين أن يخسف الله تعالى بهم الأرض؟ أو يأتيهم العذاب فجأة من حيث لا يَتَوَقَّعون نزوله؟ أو يهلكهم في أثناء أسفارهم، فما هم بناجين من الهلاك؟ أو يهلكهم الله حال كونهم

خائفين مترقِّبين لنزول العذاب؟ فإنَّ ربَّكم ذو رأفة بعباده، رحيم بهم، إذ لم يعاجلهم بالعقوبة.

٤٨ ـ أولم يعتبروا بالمخلوقات الأخرى، ما مِنْ شيء إلا له ظلٌّ كالجبال والأشجار والبنيان، تميل ظلالها من جانب إلى جانب يميناً وشمالاً، إلا هو ساجدٌ لله سجودَ خضوعٍ وانقياد لأمر الله تعالى وتدبيره؟

## الفوائد والاستنباطات:

١ ـ فضل الهجرة ووجوبها عند اضطهاد المؤمن، وعدم تمكُّنه من عبادة الله تعالى.

٢ ـ جميع الرسل كانوا بشراً؛ ليتمكنوا من تبليغ رسالة ربهم إلى الناس.

٣ ـ وجوب سؤال أهل العلم على كلِّ مَنْ لا يعلم أمور دينه من عقيدة وعبادة وحُكْمٍ.

٤ ـ وجوب اتباع ما جاء في السنة التي بَيَّنَها رسول الله ﷺ لأُمته في قوله، وفِعْلِه، وتقريره.

٥ ـ لا غنى عن السنة؛ لأنَّها المبيِّنة لمجمل القرآن والموضحة لمعانيه.

٦ ـ تحريم الأمن مِنْ مَكْرِ الله.

٧ ـ قدرة الله على إهلاك أعدائه بطرق متعددة ووسائل متنوعة، ولكن لرأفته ورحمته اقتضَتْ تأجيل عذاب بعضهم؛ لعلهم يتوبون، وينتهون عن باطلهم.

٨ ـ ينظر: صورة أنموذج من الخسف، كما في الملحق.

٩ ـ الآية (٤٨) تُعبِّر بدقة متناهية عن حركَتَي الظلال من جهة الغرب إلى جهة الشرق، في نصفي الكرة الأرضية الشمالي والجنوبي في آنٍ واحد، باستخدام لفظ اليمين كإشارة إلى جهة الشرق، ولفظ الشمائل إلى جهة الغرب. (الإعجاز العلمي في إثبات حركة الظلال، بحث مقدم للمؤتمر الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ص ١٠).

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾
يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ
فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن
نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم
بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا
مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ
﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ
بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

**التفسير:**

**٤٩ ـ ٥٠ ـ** ولله سبحانه يخضع ساجداً على الدوام كلُّ ما في السموات السبع، وكل ما يدبُّ على وجه الأرض، من مخلوقات والملائكة جميعاً، وهم لا يستكبرون عن عبادته وطاعته، بل يخافون ربَّهم من فوقهم بذاته وكمال صفاته، ويفعلون دائماً ما يأمرهم الله تعالى به.

**٥١ ـ ٥٢ ـ** ينهى الله تعالى عباده جميعاً أن يعبدوا إلهين اثنين أو أكثر؛ لأنَّ المعبود بحق هو الله وحده سبحانه، ثم أمر بأن يخافوه وحده، فهو له ملكوت ما في السموات السبع والأرَضين السبع، وله العبادة دائماً، ثمَّ أنكر على الكفَّار: أتخافون غير الله؟

**٥٣ ـ ٥٤ ـ** وما تَفَضَّل الله به عليكم ـ أيها الناس ـ من رزق ونعمة، فمِنْ فَضْلِ الله وإحسانه، ثمَّ إذا أصابكم البلاء في الشرِّ فإليه وحده تتوجَّهون بالاستغاثة، ثمَّ إذا استجاب لكم ورُفِعَ عنكم البلاء، إذا فريق منكم ينتكس تارةً أخرى بالشرك مع الله سبحانه.

**٥٥ ـ ٥٦ ـ** يُهَدِّد الله تعالى هؤلاء الذين تَضَرَّعوا ثمَّ أشركوا، فكانت عاقبتهم الكفر بما أنعمنا عليهم، ومِنْ نِعَمِه عليهم إنقاذُهم من الهلاك، فليستمتعوا بدنياهم، فسوف يعلمون عقوبة الولوغ في الكفر، ومن كفرهم

أنَّهم يجعلون دائماً لأوثانهم التي لا علم لها جزءاً من النِّعَم التي أنعم الله عليهم بها قُرْباناً، ثمَّ يُقْسِمُ الله تعالى بذاته العظيمة بأنَّهم سُيسَألون عن ذلك قطعاً.

٥٧ ـ ٥٩ ـ ومِنْ كفرهم أيضاً أنَّهم يعتقدون أنَّ الملائكة بنات الله، تنزَّه الله وتقدَّس عَمَّا يقولون، ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون من البنين، وإذا بُشِّرَ أحدهم بولادة أنثى صار وجهه مُتغيراً بالكآبة والحزن، وهو ساكت من شدة الغمِّ والهم، يختفي خجلاً من لقاء قومه من سوء الخبر، فهو متحيِّر في أمر هذه البنت: أيتركها تعيش، وهو في غاية الذلِّ والهوان؟ أم يدفنها حيَّة في التراب؟ ألا فانتبهوا ـ أيُّها الناس ـ من فِعْلِهم، فبئس الحُكْمُ حُكْمُهم في نسبة البنات لربِّهم.

## الفوائد والاستنباطات:

١ ـ مَنْ خاف الله لا يستكبر عن عبادته.

٢ ـ الملائكة مكلفون، وأنَّهم بين الخوف والرجاء.

٣ ـ تكرار «اثنين» تأكيد التنفير عنه، وتوقيف العقل على ما فيه من القبح. (السراج المنير للشربيني: ٢/ ٢٣٦).

٤ ـ وجوب الرهبة من الله دون سواه.

٥ ـ في الآيتين (٥٣ ـ ٥٤) إخبار مستقبلي عن عباد الله، فيما إذا نزل بهم البلاء والقحط يضجُّون بالدعاء إلى الله وحده. وفيها أيضاً إخبار مستقبلي آخر عن بعض عباد الله في حال انكشاف البلاء والسقم عنهم فإنَّهم يتَّخذون معه الشركاء والأولياء.

٦ ـ الواجب على الإنسان أن يحمد الله على نعمه، وأن يذكره في حال السراء والضراء.

٧ ـ كلُّ النعم من الله تعالى، وهو المنعم المتفضل على خلقه.

٨ ـ جَهْلُ المشركين وسوء فعلهم بتقديم الأموال لأصنامهم وآلهتهم، ونسبة البنات إلى الله تعالى.

٩ ـ التشنيع بما كان يفعله أهلُ الجاهلية مِنْ كُرْهِهم للبنات، وتحريم

ما كانوا يفعلونه من إهانتها، وتفضيل الولد عليها، وحرمانها من الإرث وتشديد التحريم في وأدها.

١٠ ـ ينظر: صورة أنموذج من الدَّسِّ في التراب، كما في الملحق.

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ ٱلْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۖ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾

**التفسير:**

٦٠ ـ ٦١ ـ للكفَّار شعار السوء والقبح وصفة الجهل والنقص، ولله ﷻ الصفات العليا من الكمال والجلال، والاستغناء عن خلقه، فهو العزيز في ملكوته، الحكيم في تدبير أمورهم، ولو يعجِّل الله العقوبة للناس بسبب كفرهم، لَدمَّرهم جميعاً، ولكن يمهلهم إلى وقت عذابهم أو انتهاء أجلهم، فإذا حَقَّ عليهم العذاب، أو انتهى أجل حياتهم، فإنَّهم لا يتأخَّرون ساعة عنه ولا يتقدَّمون.

٦٢ ـ ومن كفرهم أنَّهم يجعلون لله تعالى ما يكرهونه لأنفسهم من البنات، وتلهج ألسنتهم بالكذب والدجل أنَّ لهم حُسن العاقبة بالجنَّة، بلى إنَّ جزاءهم النار، وإنَّهم فيها متروكون منسِيُّون.

٦٣ ـ يُقسم الله تعالى بذاته العظيمة مؤكِّداً أنَّه أرسل رُسُلاً إلى أُمم من قَبْلِ النبيِّ ﷺ، فزيَّن لهم الشيطانُ الخبائث والجرائم، فهو يَتَوَلَّى ضلالهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب موجع.

٦٤ ـ وما أنزلنا عليك القرآن ـ أيها النبي ـ إلا لتبيِّنَ غاية البيان للناس ما اختلفوا فيه من الدين، وهداية للبشر، ورحمة لقوم يُصَدِّقون برسالتك.

٦٥ ـ يخبر الله تعالى عن عظيم فضله على الناس وكريم عطائه لهم؛ ليشكروه ويعبدوه كما في الآيات التسع الآتية: والله أنزل من السحاب مطراً فأخرج به النبات من الأرض، بعد أن كانت جافَّة مجدبة. إنَّ في ذلك الماء الكريم والخير العظيم؛ لدليلاً على قدرة الله تعالى على البعث والربوبية لقومٍ يسمعون الحق.

## الفوائد والاستنباطات:

١ ـ الله حليم بعباده فلا يستعجل العذاب للظالمين منهم، بل ينظرهم إلى آجالهم التي سَمَّاها لهم، لعلهم يتوبون إليه.

٢ ـ في الآية (٦١) إخبار مستقبلي عن أنَّ الله يُبقي هؤلاء الكفرة والمفترين إلى وقت محدَّد، وهو نهاية آجالهم، فإذا جاء أجلهم لا يتأخَّرون عنه وقتاً يسيراً، ولا يتقدَّمون.

٣ ـ سُنَّةُ الله في عباده منذ القديم إرسال الرسل بالحجة الواضحة والبيان الشافي، وما محمد ﷺ إلا كغيره من الرسل.

٤ ـ تخصيص المؤمنين بالذِّكْر؛ لأنَّهم الممتثلون المنتفعون بالقرآن.

٥ ـ من مهمة رسول الله بيانُ ما أنزل الله تعالى لعباده من وحيه في كتابه.

٦ ـ الله تعالى هو الذي ينزل المطر لحياة الأرض بعد جَدْبِها وقحطها. وفي هذا دلالة على عظمته، وقدرته على إحياء الموتى بعد موتهم.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ
(٦٦) وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ (٦٧) وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي
مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ
لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ
ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠) وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلرِّزْقِ
فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ
يَجْحَدُونَ (٧١) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً
وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢) وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ
مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣) فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ
إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤)﴾

**التفسير:**

٦٦ ـ وإنَّ لكم ـ أيها الناس ـ في الإبل والبقر والغنم والضأن لَموعظة، نُسقيكم ممَّا في بطون هذه الأنعام خارجاً من بين الدم والرَّوث لبناً خالصاً من الشوائب، لذيذاً سهل المرور في الحَلْق.

٦٧ ـ وجعل الله لعباده من ثمرات النخيل والأعناب ما يتخذون منه خمراً مسكراً ـ وهذا قبل النَّسْخ والتحريم ـ وطعاماً لذيذاً. إنَّ في ذلك الثمر العظيمِ المنافعِ لدليلاً على قدرة الله في رزق العباد لقوم يعقلون اتِّباع الحق.

٦٨ ـ ٦٩ ـ ومن نِعَمِه الكريمة على عباده أنَّه ألهمَ النحل أن اجعلي لك بيوتاً في الجبال وفي الأشجار وفي الأماكن المرتفعة عن الأرض، كسقف البيت أو العريش المثبَّت بالأعمدة، ثمَّ كُلي من كلِّ الأزهار والثمار، فادخلي المسالك التي مَهَّدها الله تعالى لكِ، يخرج من بطون النحل عسل مختلف الألوان: أبيض وأسمر وأحمر وغير ذلك، فيه شفاء للناس من الأمراض. إنَّ

في ذلك العسل الكثير الفوائدِ لَدلالةً عظيمة على قدرة الخالق لقوم يتفكَّرون بهذه النعم، فيتعظون.

٧٠ ـ ومن أدلة عظمة قدرة الله تعالى: خَلْقُكم من العدم، ثمَّ إماتتكم عند انتهاء أعماركم، ومنكم من يتعرَّض إلى أردأ العمر، بضعف العقل والحواس؛ ليعود جاهلاً كما كان في حال طفولته. إنَّ الله عليم بتدبير خلقه، قدير على ما يشاء.

٧١ ـ والله تعالى فضَّل بعضكم ـ أيها الناس ـ على بعض في الرزق، فمنكم الغني والفقير، والمالك والمملوك، فلا يعطي المالكون مملوكيهم ممَّا يجعلهم متساوين في المال، فإذا لم يرضوا بذلك لأنفسهم فلماذا رَضُوا أن يجعلوا لله شركاء من عبيده؟ ثمَّ يُنْكِرُ الله تعالى على هؤلاء المشركين: أيشركون معه غيره وهو المنعِمُ عليهم؟!

٧٢ ـ يخاطب الله البشر مُبيِّناً مِنَّته العظيمة عليهم: والله جعل لكم أزواجاً؛ لتسكنوا إليها، وجعل لكم من أزواجكم الأولاد والأحفاد، ورزقكم من الأطعمة والأشربة اللذيذة الحلال، أتُصَدِّقون بالأوثان والأصنام، وتجحدون نِعَمَ الله عليكم؟

٧٣ ـ ويعبد هؤلاء المشركون الأصنام والأوثان التي لا تنفعهم شيئاً مهما كان قليلاً، ولا تقدر على ذلك لو أرادت.

٧٤ ـ فلا تجعلوا لله تعالى الأمثال، ولا تُشَبِّهوا له الأشباه، فإنَّه لا مِثل ولا شبيه له.

## الفوائد والاستنباطات:

١ ـ عظيم قدرة الله تعالى وصنعه، حين جعل اللبن الخالص يخرج من بين الفرث والدم، في عملية فرز لا يصنعها ولا يقدر عليها إلا هو سبحانه. ينظر: صورة خروج اللبن من الفرث والدم، كما في الملحق.

٢ ـ ينظر: صورة بيوت النحل من الجبال والشجر، كما في الملحق.

٣ ـ ينظر: صورة ألوان العسل، كما في الملحق.

٤ ـ إناث النحل الشغَّالات هنَّ اللائي يقمنَ بالبحث عن المكان

المناسب؛ لبناء بيوت النحل، ويقمنَ بالبناء بذواتهنَّ، وبصيانة وتنظيف وترميم البناء، وعلى حمايته وتهويته.

وألهم الله تعالى الشغَّالات، من إناث نحل العسل، اختيار فرق من المستكشفات من بينهنَّ يغادرن الخلية للبحث عن الأزهار الحاملة للرحيق، ثم يَعُدْنَ لإخبار بقية الشغَّالات عن أمكنة وجود تلك الزهور. (من آيات الإعجاز العلمي: الحيوان في القرآن الكريم: زغلول النجار: ص ٨٤ ـ ٩١، ٩٧ ـ ١٠٢).

٥ ـ العدول عن خطاب النحل إلى خطاب الناس؛ لأنَّه مَحَلُّ الإنعام عليهم والمقصود من خلق النحل وإلهامه لأجلهم.

٦ ـ فضيلة العقل والتعقل والفكر والتفكر.

٧ ـ في ختم الآية (٧٠) باسميه تعالى ﴿عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ دلالة على علم الله تعالى بمقادير أعمار العباد، ودلالة أيضاً على إماتة الشاب النشيط، وإبقاء الهَرِم الفاني. وفي ذلك تنبيه على أنَّ تفاوت آجال الناس ليس إلا بتقدير عليم قدير حكيم، رَكَّب أبنيتهم، وعَدَّلَ أمزجتهم على قدر معلوم، ولو كان مقتضى الطباع كما يقول الطبائعيون لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ.

٨ ـ الرازق هو الله تعالى لجميع خلقه، والموالي والمماليك في ذلك الرزق سواء، فالرازق للمالك والمملوك هو الله تعالى.

٩ ـ التفاوت بين العباد في الرزق لحكمة أرادها الله.

١٠ ـ مِنْ نِعَمِ الله على عباده جعل الزوجات من جنس الأزواج وشكلهم.

١١ ـ تقرير وجوب التوحيد وبطلان أعمال المشركين.

١٢ ـ عظيم إساءة الجاحدين الذين يَتَقَلَّبون في نِعَمِ الله، ويعبدون سواه.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾

**التفسير:**

٧٥ ـ ضَرَبَ الله تعالى لبُطلان الشرك مثلاً: رجلين، أحدهما: عبد رقيق مملوك لا يملك نفسه، ولا يملك من المال والدنيا شيئاً، والثاني: حُرٌّ غني، قد رزقه الله رزقاً حسناً من جميع أصناف المال، فهو ينفق منه سرَّاً وجهراً، هل يستوي هذا أو ذاك؟ الثناء العظيم الكامل لله تعالى وحده، بل أكثر المشركين لا يعلمون، ولا يُفَرِّقون بينهما.

٧٦ ـ وضَرَبَ الله مثلاً آخر لبطلان الشرك: رجلين، أحدهما: أخرس أصم لا ينطق بخير ولا يفهم، لا يَقْدِرُ على فِعْل شيء، وهو عبء ثقيل على مَنْ يَتَوَلَّى أمره، حيثما يرسله لا يرجع بخير، ورجل آخر: فَطِنٌ قوي يأمر بالعدل، ويبذل النصيحة، وهو على طريق الحق الواضح. فهل يستوي الرجلان؟ فكيف تُسَوُّون بين الصنم الأبكم، وبين الله الأكرم؟!

٧٧ ـ ولله تعالى علم ما غاب في السموات السبع والأرَضين السبع، وما أَمْرُ يوم القيامة إلا مثل لَـمْحِ البصر في السرعة والسهولة، بل هو أسرع من ذلك. إنَّ الله تعالى على كل شَيء من الأشياء قدير، لا يُعجزه شيء.

٧٨ ـ ومن عظيم قدرته أنَّه سبحانه أخرجكم من الأرحام في بطون

أمهاتكم بعد الحمل أطفالاً لا عِلْمَ لكم بشيء، وجعل لكم وسائل الإدراك: السمع والبصر والقلوب؛ لكي تشكروا الله على ذلك بالقول والفعل.

٧٩ ـ ألم ينظر العباد إلى الطيور مُذَلَّلاتٍ للطيران في الهواء بين الأرض والسماء؟ ما يُمْسِكهنَّ عن الوقوع إلا هو سبحانه بقدرته العظيمة. إنَّ في ذلك الأمر العظيم من إخراجكم، والتذليل للطير؛ لَدلالات مشاهِدة لقوم يُصَدِّقون بالله العظيم وأمره الكريم.

## الفوائد والاستنباطات:

١ ـ النهي عن ضرب الأمثال لله، وعن تشبيهه سبحانه وتعالى بخلقه.

٢ ـ استحسان ضرب الأمثال، وهو تشبيه حال بحال على أن يكون ضارب المثل عالماً.

٣ ـ لا يعلم الغيبَ إلا الله، ويُستثنى من ذلك مَنِ ارتضاه عز وجل ليُطْلِعَه عليه، كحال الوحي لأنبيائه ورسله.

٤ ـ التذكير بما أنعم الله على عباده من نعمة السمع والبصر والعقل، وهي مكونات أساسية لحياتهم.

٥ ـ وجوب تسخير الأعضاء في طاعة الله والانتفاع منها فيما يرضيه.

٦ ـ ينظر: صورة الطير في جو السماء، كما في الملحق. وينظر: تفسير سورة الملك الآية (١٩).

٧ ـ الإشارة إلى معرفة جو السماء.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ
وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ ٨٠ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم
مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ
وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١ فَإِن تَوَلَّوۡاْ
فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٨٢ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٣
وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدٗا ثُمَّ لَا يُؤۡذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٨٤ وَإِذَا رَءَا
ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلۡعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمۡ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ٨٥ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ
قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ
٨٦ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٨٧ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن
سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ٨٨ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا
عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ
وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾

**التفسير:**

٨٠ ـ يخبر الله تعالى بنعمه على عباده لاستقرارهم وراحتهم في بيوتهم: وجعل من جلود الأنعام خياماً يَخِفُّ عليكم حملها في الأسفار، ونصبها حين إقامتكم بعد الترحال، وجعل لكم من أصواف الغنم، وأوبار الإبل، وأشعار المعز، فُرُشاً ولباساً وأغطية وغيرها من الأثاث، تنتفعون بها إلى أن تَبْلَى، أو إلى أن تموتوا.

٨١ ـ ومن نِعَمه سبحانه أيضاً أن جعل لكم من الجبال والأشجار ظلالاً تستظِلُّون بها من حَرِّ الشمس، وجعل لكم من الجبال مساكن وحصوناً تسكنون فيها، وكهوفاً تستترون فيها من الحر والبرد والمطر، وجعل لكم الثياب من القطن والصوف تحفظكم من الحَرِّ والبرد، وجعل لكم دروعاً وغيرها تَتَّقون بها شرَّ أعدائكم في الحرب، مثل ما خلق الله لكم هذه النِّعم، فإنَّه يُتِمُّ نعمة الدنيا والدين عليكم؛ لكي تُخلصوا له العبادة.

٨٢ ـ ٨٣ ـ فإن أعرض هؤلاء المشركون عن رسالتك أيها النبي، فإنَّك قد بَلَّغت الدعوة، وما عليك سوى البلاغ الواضح، فامض على ذلك. يعرفون نِعَمَ الله عليهم بإرسال محمد ﷺ وما تَقَدَّم من النِّعَمِ في الآيات السابقة، ثم يجحدونها، وأكثرهم يموتون على الكفر.

٨٤ ـ ٨٥ ـ يُذَكِّر الله تعالى بيوم القيامة، حين يبعث من كلِّ أُمَّة نبيَّها شاهداً عليها بالإيمان والكفر، ثمَّ لا يُؤْذَنُ للكفَّار في الاعتذار عمَّا وقع منهم، ولا يُطلب إليهم أن يسترضُوا ربَّهم، وإذا رأوا عذاب النار في الآخرة فلا يُخَفَّف عنهم منه شيء، ولا يُمْهَلُون.

٨٦ ـ ٨٧ ـ وإذا شاهد المشركون آلهتهم يوم القيامة قالوا: يا ربَّنا هؤلاء شركاؤنا الذين كُنَّا نعبدهم من دونك. فرَدَّت عليهم آلهتهم: إنَّكم لَكاذبون حقَّاً حين جعلتمونا شركاء لله. وأظهر المشركون الاستسلام والخضوع لله تعالى يوم القيامة، وذهب عنهم ما كانوا يختلقونه من الأكاذيب.

٨٨ ـ يخبر الله تعالى عن زيادة عذاب الكفَّار، فلهم عذاب على تكذيبهم، ولهم زيادة عذاب على مَنْعِ الناس عن الإيمان بالله تعالى؛ بسبب إفسادهم في الدنيا بالمعاصي والكفر.

٨٩ ـ واذكر ـ أيها الرسول ـ للناس حين نبعث يوم القيامة في كلِّ أُمَّة من الأُمم نبيَّها؛ ليشهد عليها، وجئنا بك يا محمَّد شهيداً على أُمَّتك، ونزَّلنا عليك القرآن بياناً بليغاً لكلِّ أمر يحتاج إلى بيان، وهداية للقلوب من الضلالة، ورحمة للمؤمنين، وبشرى بالجنَّة للمسلمين المهتدين.

## الفوائد والاستنباطات:

١ ـ مخاطبة الله العرب الذين نزل فيهم القرآن بما يعرفونه في بيئتهم وحياتهم، كاستخدامهم جلود الأنعام وغير ذلك من النِّعم.

٢ ـ على المرء العاقل أن يشكر نِعَمَ الله عليه، ويُسَخِّرها فيما يرضي خالقه.

٣ ـ الإنسان المستظل بالشجرة يكون في حقيقة الأمر جالساً تحت مظلة مائية قدرها ٤٠٠٠ (أربعة آلاف لتر ماء)، فهي تمتصُّ حرارة الشمس الساقطة عليها، وتمنعها من إيذائه، وهي أيضاً ترشُّه ببخار الماء الذي يشعره باللطف والانتعاش في آنٍ واحد. وإنَّ كثافة الأوراق وما بها من ماء ومواد يعمل على

وقاية الإنسان من الأشعة الضارة الساقطة من الشمس، وأخطرها الأشعة فوق البنفسجية. (الإشارات العلمية في القرآن الكريم: علم النبات في القرآن الكريم: الدكتور السيد عبد الستار المليجي ص٢٠٣).

٤ ـ وظيفة الرسول هي الدعوة بالحسنى، أمَّا الهداية فمن الله.

٥ ـ أكثر الناس لا يعبدون الله تعالى، ولا يشكرون نعمه. وقليل منهم العابد الشاكر.

٦ ـ زيادة العذاب لِـمَنْ دعا إلى الشرك والكفر، وحَمْلِ الناس على ذلك.

٧ ـ تكرُّم النبيِّ ﷺ بشهادته على أُمته وسائر الأُمم.

٨ ـ في الآية (٨٩) إخبار مستقبليٌّ أنَّ هذا القرآن العظيم نزل توضيحاً لكلِّ أمر يحتاج إلى بيان، كأحكام الحلال والحرام، والثواب والعقاب، وغير ذلك، وسيبقى كذلك حتى تقوم السَّاعة. وفيها إخبار مستقبليٌّ آخر، وهو البشارة الطيبة للمؤمنين بحسن مصيرهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ
وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ
ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا وَقَدۡ جَعَلۡتُمُ ٱللَّهَ عَلَيۡكُمۡ كَفِيلًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا
تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتۡ غَزۡلَهَا مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن
تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ
تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن
يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا
وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ
ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ
ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾

**التفسير:**

٩٠ ـ يأمر الله تعالى بأحكام عظيمة جامعة للخير، ومهام كريمة مانعة

للشر، في الآيات التسع الآتية: فيأمر بالعدل والإحسان في حقِّ عبادة الله تعالى، وحقوق الناس ومعاملتهم بحسن القول والعمل، ويأمر سبحانه بإعطاء الأقاربِ حقَّهم من البِرِّ، وينهى عن قبيح الأقوال والأفعال، وعن الظلم والعدوان والطغيان؛ لكي تَتَّعِظُوا بأحكام الله الرحمن.

٩١ ـ وحافظوا على الوفاء بالعهود التي أبرمتموها مع الله تعالى وعباده جميعاً، ولا تَنْقُضوا الأيمان الموثَّقة، وقد جعلتم الله عليكم شاهداً ورقيباً بالوفاء بالعهود. إنَّ الله يعلم ما تفعلون في العهود وغيرها.

٩٢ ـ ولا تكونوا ـ أيها الناس ـ في نَقْضِكم العهدَ مثلَ المرأة الحمقاء التي غَزَلَتْ صوفاً غَزْلاً مُحْكَماً، ثم نقضَتْه محلولاً مفكَّكاً، حال كونكم مُتَّخذين أيمانكم خديعة للناس، إذا وجدتم فئة أكثر مالاً ومصلحة من الذين عاهدتموهم سابقاً. إنَّما يختبركم الله بالوفاء بالعهد، وقسماً لَيُوَضِّحَنَّ لكم ـ أيُّها الناس ـ يوم القيامة ما كنتم تختلفون فيه في الدنيا من حقٍّ أو باطل.

٩٣ ـ ولو شاء الله لجعلكم ـ أيها الناس ـ ملَّة واحدة غير مختلفين، ولكن لم يشأ ذلك لكي يترك لكم الاختيار مع المؤمنين أو الكفَّار، فيُضِلُّ مَنْ يشاء ممَّنْ عَلِمَ منه اختيار الضلال والغَواية، ويهدي مَنْ يشاء ممَّنْ عَلِمَ منه اختيار الحق والهداية. وقسماً ستُسألون يوم القيامة عن أعمالكم في الدنيا، وسيجازيكم الله عليها.

٩٤ ـ يكرِّر الله تعالى ـ للاهتمام والتأكيد ـ النهي عن عَقْد الأيمان؛ من أجل الخديعة والمكر التي تؤدي إلى الانحراف عن الاستقامة والحق، ثمَّ إلى العقوبة العاجلة في الدنيا؛ بسبب إيقاع الناس في هذه القدوة السيئة في الغدر، ولكم في الآخرة عذاب عظيم الألم.

٩٥ ـ ولا تستبدلوا بالوفاء بعهد الله شيئاً حقيراً من حطام الدنيا مهما عَظُمَ في أعينكم. إنَّ الذي عند الله من الأجر على الوفاء أغلى وأعلى من هذا الثمن الأدنى، إن كنتم تعلمون التجارة الرابحة.

٩٦ ـ ما تملكون من الدنيا ـ مهما بلغ من الثروات ـ زائل، وما عند الله الغني فهو دائم، وقسماً لَنَجْزِيَنَّ الصابرين على طاعة الله، ولَنُعْطِيَنَّهم الأجر الوافي على أحسن أعمالهم، مع التجاوز عن سيئاتهم.

## الفوائد والاستنباطات:

١ ـ العدل هو المساواة في المكافأة إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، والإحسانُ أن تقابل الخيرَ بأكثرَ منه والشرَّ بأن تعفو عنه. (السراج المنير: ٢/٢٥٦).

٢ ـ تحريمُ كلِّ فعل قبيح شرعاً وعقلاً، وتحريم الاعتداء على الآخرين، وظُلْمِهم.

٣ ـ وجوب الوفاء بالعهود، وحرمة نقضها.

٤ ـ حرمة اتخاذ الأيمان طريقاً إلى الغِشِّ والخديعة والإفساد.

٥ ـ تحريم الغدر والمكر في اليمين.

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾

## التفسير:

٩٧ ـ مَنْ عمل عملاً صالحاً في الدنيا سواءً كان ذكراً أم أُنثى، وهو يُقِرُّ لله تعالى بالوحدانية، ولرسوله بالرسالة، فلنحيينَّه في الدنيا حياة سعيدة حقّاً، ولنجزينَّهم في الآخرة بجزاء كريم على أحسن أعمالهم.

٩٨ ـ ١٠٠ ـ وإذا أردت ـ أيها المؤمن ـ أن تقرأ شيئاً من القرآن العظيم، فاسأل الله أن يحفظك من وساوس الشيطان المطرود من رحمة الله، عن تدبُّر القرآن، بأن تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. متدبِّراً لمعناها. إنَّه ليس له

تَسَلُّط على المؤمنين بالله ورسوله، وعلى ربهم يعتمدون. إنَّما تَسَلُّطُه على الذين يطيعونه، ويتخذونه وليّاً، والذين هم بسبب إغوائه صاروا مشركين بالله تعالى.

**١٠١ ـ ١٠٢ ـ** وإذا رفعنا آية مكان أخرى، والله أعلم بمصلحة العباد بما ينزله من القرآن، قال الكفَّار بسوء أدب للنبي ﷺ: إنَّما أنت يا محمَّد كاذب على الله!! بل أكثرهم لا يعلمون مقام النبي ﷺ وعظيم خلقه. فرَدَّ عليهم الله سبحانه: قل لهم أيها الرسول: هذا القرآن كلام الله، نَزَّله جبريل عليه السلام من الله عز وجل بالحق الثابت، الذي لا يأتيه الباطل، تثبيتاً للمؤمنين على الإسلام، وهداية للقلوب من الغَواية، وبشرى للمسلمين المنقادين لله بالجنَّة.

**١٠٣ ـ** يُقسم الله تعالى: إنَّ المشركين أشاعوا كثيراً أنَّ النبيَّ ﷺ يتلقَّى القرآن من بشر عنده علم بالكتب السابقة، فرَدَّ الله عليهم: بأنَّ لسان الذي يزعمون أنَّه علَّمه رجل أعجمي، وهذا القرآن عربي في غاية الفصاحة والبيان!

## الفوائد والاستنباطات:

١ ـ في الآية (٩٧) إخبار مستقبلي عن حال مَنْ يعمل العمل الصالح، ذكراً كان أم أنثى، وهو مؤمن بالله ورسوله، بأنَّ الله سيرزقه في الدنيا حياة سعيدة مطمئنة ـ ولو كان قليل المال ـ.

٢ ـ الترغيب في الصبر؛ ليحصل الصابر على أحسن الجزاء وأطيبه.

٣ ـ التسوية بين الذكر والأنثى في الدعوة إلى العمل الصالح، والإثابة عليه.

٤ ـ المؤمن في الدنيا يحيا حياة طيبة، ولو أحاطت به المصائب، لعمله بشرع الله، ورضاه بقضائه.

٥ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ قال: القُنوع، قال: وكان رسول الله ﷺ يدعو يقول: **«اللهم قَنِّعْني بما رزقتني، وبارك لي فيه، واخْلُفْ على كل غائبة لي بخير»**. (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. المستدرك ٢/ ٣٥٦ ـ كتاب التفسير. وأقره الذهبي).

٦ ـ استحباب الاستعاذة عند قراءة القرآن بلفظ: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

٧ ـ يُشترط لتربية المؤمن على تَدبُّر القرآن والانتفاع بإرشاداته: تطهير

القلب من الخبث، وتخليته من الفساد، ولا يكون ذلك إلا بدفع نوازع الشر التي تَعْلق بالنفوس، والاستعاذة مسلك رباني لقهر تلك النوازع ومغالبتها.

٨ ـ مشروعية الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم.

٩ ـ في الآية (١٠٢) إخبار مستقبلي بأنَّ هذا القرآن فيه البشارة الطيبة لِمَنْ أسلموا، وخضعوا لله ربِّ العالمين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى
ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ
بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا
فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ
ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى
ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ
جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾

**التفسير:**

١٠٤ ـ ١٠٥ ـ إنَّ الذين لا يُصَدِّقون بالقرآن الكريم لا يهديهم الله لإصابة الحقِّ، ولهم في الآخرة عذاب موجع، إنَّما يتعمَّد الكذبَ الذين لا يُصَدِّقون بآيات الله المنزلة والمشاهدة، وأولئك البعداء عن الحق هم الكاذبون.

١٠٦ ـ ١٠٧ ـ بَيَّنَ الله تعالى خطورة الردَّة عن دين الإسلام، وتغليظ العقوبات على المُرتدين في الدنيا والآخرة في الآيات الأربع الآتية: مَن ارتدَّ بعد إيمانه، فعليهم غضب من الله تعالى، إلا مَنْ أُجبر على النطق بالكفر خوفاً من الهلاك، وقلبه ثابت على الإيمان بالله فلا إثم عليه، لكن مَنْ نطق بالكفر، واطمأن قلبه إليه، فعليهم غضب من الله، ولهم عذاب شديد الألم.

ذلك العذاب العظيم؛ بسبب أنَّهم آثَرُوا الدنيا واختاروها على الآخرة، وأنَّ الله لا يوفِّق الكافرين إلى الإيمان.

١٠٨ ـ ١٠٩ ـ أولئك البعداء عن رحمة الله، الذين ختم الله على قلوبهم بالكفر، وأصمَّ سَمْعَهم عن سماع الحق، وأعمى أبصارهم، فلا يرون الأدلَّة الكونية على قدرة الخالق سبحانه، وأولئك البعداء عن الحق هم الغافلون عن الخير في الدنيا والآخرة، لا شكَّ أنَّهم في الآخرة هم الهالكون.

١١٠ ـ ثمَّ اعلَمْ ـ أيها الرسول ـ أنَّ ربَّك للذين هاجروا من بعد المِحَنِ التي أصابتهم من الكفَّار، حتى وافقوهم على الكفر باللسان، وقلوبهم مطمئنة بالإيمان، ثمَّ تَمَكَّنوا من الهجرة إلى (المدينة)، ثمَّ جاهدوا في سبيل الله وصبروا على طاعة الله تعالى؛ إنَّ ربَّك من بعد هذه الأعمال الصالحة بعد الفتنة، لَغفور لذنوبهم، رحيم بهم.

## الفوائد والاستنباطات:

١ ـ حرمان المكذبين بآيات الله من الهداية؛ لعدم استحقاقهم لها.

٢ ـ الجرأة على الكذب من خصال الكافرين الذين لا يؤمنون بعقاب على كذبهم، أما المؤمن فلا يكذب؛ لأنَّه يعلم بوجود عقاب شديد للكاذبين.

٣ ـ الرخصة في كلمة الكفر في حال التعذيب، بشرط اطمئنان القلب إلى الإيمان، وعدم انشراح الصدر بكلمة الكفر.

٤ ـ الردَّةُ عن الدين من أخطر الأمور وأسوأ الأعمال، وفاعلها مستحق لغضب الله تعالى، وعقابه العظيم.

٥ ـ إيثار الدنيا على الآخرة، سبيل الضلال والهلاك.

٦ ـ الصبر على الأذى في سبيل الله تعالى والثبات على الدين، دليل الإيمان وحب الله تعالى.

٧ ـ فَضْلُ الهجرة والجهاد والصبر.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
(١١١) وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ
فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ (١١٢)
وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ (١١٣) فَكُلُوا۟ مِمَّا
رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ
عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا
عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٥) وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا
حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ (١١٦) مَتَٰعٌ قَلِيلٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١٧) وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٨) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ
وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١١٩)﴾

**التفسير:**

١١١ ـ يُذَكِّر الله تعالى بيوم القيامة، حين يأتي كلُّ إنسان يدافع عن نفسه، ويُوَفِّي الله كلَّ امرئ جزاءَ ما عمل، ولا يُظْلَمون مثقال ذرَّة.

١١٢ ـ وهذا مَثَلٌ أريد به أهل مكَّة، فإنَّها كانت في أمان من الاعتداء، واطمئنان من ضيق العيش، إذ يأتيها باستمرار رزقها واسعاً طيِّباً من كل جهة، فجحد أهلها نِعَم الله عليهم، وأشركوا، فعاقبهم الله بالقحط والخوف من سرايا الرسول ﷺ؛ بسبب كفرهم ومعاصيهم.

١١٣ ـ وقسماً لقد جاءهم رسول من قومهم هو النبيّ محمَّد ﷺ، فكَذَّبوه وحاربوه، فأخذهم العذاب بالجوع والخوف وقَتْلِ زعمائهم في غزوة (بدر)، وهم معتدون على الحقوق.

١١٤ ـ ١١٥ ـ فكُلُوا ـ أيها المؤمنون ـ من الأطعمة الحلال المستلَذَّة التي رزقناكم، واشكروا لله تعالى على نعمه بالقول والفعل، إن كنتم حقّاً مطيعين

له تعبدونه وحده، إنَّما حَرَّم الله عليكم الميتة التي لم تذبح بطريقة شرعية، وهي ميتة البرِّ لا ميتة البحر من السمك والجراد، وحَرَّم عليكم الدم المسفوح غير الجامد كالكبد والطحال، ولحم الخنزير، وما ذُبِح لغير الله، فمَنْ ألجأته الضرورة بسبب الجوع الشديد، ولم يجد شيئاً من الحلال، فأكل من هذه المحرَّمات من غير إفساد ولا إسراف، غير متجاوزٍ حَدَّ الضرورة، فلا ذَنْبَ عليه. إنَّ الله غفور لذنوب عباده، رحيم بهم.

١١٦ ـ ١١٧ ـ ينهى الله تعالى عن التحريم والتحليل بمجرَّد القول باللسان من غير دليل، فلا تقولوا: هذا حلال لِما حَرَّمه الله، وهذا حرام لِما أحلَّه الله؛ لتختلقوا على الله الكذب. إنَّ الذين يتعمَّدون الكذب على الله لا يظفرون بمطلوبهم في الدنيا ولا في الآخرة، لهم تمتُّع قليل زائل في الدنيا، ولهم عذاب مُوجِع في الآخرة.

١١٨ ـ وحَرَّمْنا على اليهود خاصَّة دون غيرهم ما قصصنا عليك من قبل في سورة الأنعام الآية (١٤٦) وفيها تحريم كلِّ ذي ظفر، كالنعامة والبعير، والشحم الخالص من البقر والغنم. وما ظلمناهم بتحريم ذلك، ولكن كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والبغي.

١٩ ـ واعلم ـ أيها الرسول ـ أنَّ ربَّك للذين فعلوا المعاصي بجهل وسفه، سواءً أكانوا متعمِّدين أم مخطئين، ثم تابوا من بعد ذلك الزَّلل، وأصلحوا العمل. إنَّ ربَّك من بعد توبتهم وإصلاح عملهم لَغفور لذنوبهم حقَّاً، رحيم بهم.

## الفوائد والاستنباطات:

١ ـ الأمن والطمأنينة نعمتان عظيمتان تحتاجان إلى شكر المنعم بهما سبحانه.

٢ ـ كُفْرُ النعم يُسَبِّبُ زوالَها، والانتقام من أهلها.

٣ ـ تكذيب الرسول يؤدي إلى العذاب والبلاء.

٤ ـ الحكمة العظيمة في تحريم ما يضر ويستقذر.

٥ ـ من يُسْرِ الإسلام وسماحته أنه لا يؤاخذ المضطر إذا أكل من شيء مُحَرَّم بقدر الضرورة.

٦ ـ تَحَرِّي الحلال الطيب من الطعام، والابتعاد عن الحرام الخبيث.

٧ ـ حرمة التحريم والتحليل بغير دليل شرعي قطعي لا ظني، إلا ما غَلَبَ على الظن تحريمُه.

٨ ـ الظلم يؤدي إلى الحرمان من النعم وفقدانها.

٩ ـ باب التوبة مفتوح لكل ذي ذنب، مهما عَظُمَ أو صَغُرَ، على شرط صدق التوبة بالإقلاع عن الذنب، والندم والاستغفار الدائم وإصلاح المفاسد، وردِّ الحقوق إلى أهلها.

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ
وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ
أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى
ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ
إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن
ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن
صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى
ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

**التفسير:**

١٢٠ ـ ١٢٢ ـ إنَّ إبراهيم عليه السلام كان إماماً قدوة جامعاً لخصال الخير، مُطيعاً لله تعالى مستقيماً على دين الإسلام، مُوَحِّداً لله غير مشرك به، يخلص الشكر لله على نعمه، اصطفاه الله نبيًّا وهداه إلى الإسلام، وجعل له سبحانه الذكر الجميل في الدنيا، وهو في الآخرة من أصحاب الدرجات العالية.

١٢٣ ـ ثمَّ أوحينا إليك ـ أيها الرسول ـ أن اتبع دين الإسلام، واستقم عليه، وما كان إبراهيم عليه السلام من المشركين بالله تعالى.

١٢٤ ـ إنما جعل الله تحريم يوم السبت وتعظيمه للعبادة فيه على اليهود

الذين اختلفوا فيه، فاستحَلَّه بعضهم، وحَرَّمه آخرون بدل يوم الجمعة الذي أمروا بتعظيمه. وإنَّ ربَّك ـ أيها الرسول ـ لَيحكم بين المختلفين حقَّاً يوم القيامة فيما اختلفوا فيه على نبيِّهم.

**١٢٥** ـ يأمر الله تعالى الرسول محمداً ﷺ أن يدعو الإنس والجن إلى الإسلام بالمنهج الحكيم الذي أوحاه الله إليه، والموعظة النافعة بلُطْفٍ ولين، ويجادل المخالفين بأحسنِ طُرُقِ المناظرة بالحُجَّة المُقْنِعَة. إنَّ الله سبحانه هو أعلم بمَنِ اهتدى إلى طريق الحقِّ.

## ١٢٦ ـ ١٢٨ ـ سبب النزول:

عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: لما كان يوم أُحُدٍ أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة فمَثَّلوا بهم، وفيهم حمزة فقالت الأنصار: لئن أصبناهم يوماً مثل هذا لَنُرِبْيَنَّ عليهم، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله عز وجل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ فقال رجل: لا قريش بعد اليوم، فقال رسول الله ﷺ: كفوا عن القوم غير أربعة. (صححه الحاكم وأقره الذهبي (المستدرك ٢/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩ ـ كتاب التفسير ـ سورة النحل)، وأخرجه الترمذي برقم ٣١٢٩، كتاب التفسير، باب ومن سورة النحل. وقال الترمذي: حديث حسن غريب من حديث أُبي بن كعب. وقال الألباني: حسن صحيح الإسناد (صحيح الترمذي ٣/ ٦٧)، وأخرجه ابن حبان في صحيحه (الإحسان ٢/ ٢٣٩ برقم ٤٨٧). قال محققه: إسناده حسن).

## التفسير:

وإن عزمتم ـ أيها المؤمنون ـ على عقوبة مَنِ اعتدى عليكم، فعاملوه بالمثل ولا تزيدوا. وقسماً إن عفوتم وتركتم العقوبة، فهو خير لكم قطعاً، وتكونوا بذلك في عداد منزلة الصابرين، واصبر ـ يا محمَّد ـ على ما أصابك من الأذى في سبيل الله، فما تنال هذه المنزلة العالية إلا بعون الله تعالى، ولا تحزن على الكفَّار إن لم يُصَدِّقوا بك، ولا تَغْتَمَّ من مكرهم وكيدهم. إنَّ الله تعالى مع المتقين لله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ومع المحسنين الذين يُحسنون القول والفعل بنَصْرِه وعونه، وكفى بذلك فخراً ونصراً.

## الفوائد والاستنباطات:

١ ـ عن مسروق قال: قرأت عند ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ فقال: إن معاذاً كان أُمَّة قانتاً لله، قال: فأعاد عليه، قال: فأعاد عليهم، ثم قال: أتدرون ما الأُمَّة؟ الذي يُعلم الناس الخير، والقانت: الذي يطيع الله ورسوله؟. (أخرجه الحاكم ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٣٥٨)، وقال الهيثمي في (المجمع ٧/ ٤٩): رواه الطبراني بأسانيد، ورجال بعضها رجال الصحيح).

٢ ـ الأمر باتباع ملة إبراهيم عليه السلام، والاقتداء به في دينه وهو الإسلام.

٣ ـ جواز اتباع الأفضل للمفضول، ولا تبعة على الفاضل في ذلك؛ لأنَّ الرسولَ صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء وقد أمر بالاقتداء بإبراهيم.

٤ ـ سَبْتُ اليهود من ابتلاء الله لهم، لا من نِعَمه وإفضاله عليهم.

٥ ـ وجوب الدعوة إلى الله تعالى واجب كفائي، إذا قامت به جماعة أجزأ ذلك عنهم.

٦ ـ على الداعي مراعاة حال المدعوين، ومخاطبتهم بما يناسبهم، ويُؤَثِّرُ فيهم.

٧ ـ جواز المعاقبة بالأخذ بقَدْرِ ما أُخِذَ من المرء، وتركها صبراً واحتساباً أفضل.

٨ ـ معيَّة الله تعالى ثابتة لأهل التقوى والإحسان، وهي معيَّة نصرٍ وتأييد وتسديد.